Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد الثامن – آذار – March / 2024

غارات السلاف والأفار على المقاطعات البيزنطية 562- 602م

ا. د . نعيم كريم عجمي الشويلي[1]، الباحثة : تغريد ابراهيم الجاسمي[2]
[1،2] جامعة ذي قار \ كلية التربية للعلوم الانسانية \ قسم التاريخ – العراق
NaeemKareem7070@gmail.com
taghreedan2@gmail.com

ملخص. يعد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وصراعها مع السلاف والافار مرحلة حرجة لها اذ تعرضت خلال المدة 562 – 602 م حدودها في منطقة البلقان للآختراق من قبل تلك القبائل البربرية متخذين من اسلوب الكر و الفر وسيلة لمهاجمتها .وقد ركزت الدراسة على بدايات هذا الصراع والذي عانت الإمبراطورية البيزنطية منهم خاصة بعد ان تحالف السلاف مع الآفار في عام 562م وخضوعهم لسلطة خاقان الآفار , وإزاء ما تعرضت له اراضي الإمبراطورية من نهب وسلب وحرق من هذه الجماعات البربرية بدأت تتبع عدة أساليب لتفكك هذا التحالف وتصد خطر السلاف والآفار عن سكان مقاطعات البلقان البيزنطية اتبع الأباطرة البيزنطيين الوسائل الممكنة لتفكيك هذا التحالف نتيجة لما لحق اراضيها من دمارا , في وقت كانت به الإمبراطورية منشغلة بحربها مع الفرس والتي هددت سلطتها في اجزائها الجنوبية والشرقية وكيف تجاوزت الامبراطورية هذه المشاكل والصعوبات التي واجهتهم جراء هذا التحالف الذي انعقد مع مطلع ستينيات القرن السادس الميلادي.

الكلمات المفتاحية: السلاف، الأفار، المقاطعات البيزنطية.

Abstract. The history of the Byzantine Empire and its conflict with the Slavs and Avars is a critical stage for it, as it was exposed during the period 562-602 AD its borders in the Balkans to penetrate by those barbarian tribes, taking the method of hit-and-run as a way to attack them. In the face of the looting, looting and burning of the lands of

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

the empire from these barbarian groups began to follow several methods to disintegrate this alliance and repel the threat of the Slavs and Avars from the inhabitants of the Balkan provinces Byzantine followed the possible means to dismantle this alliance as a result of the destruction of its lands, at a time when the empire was busy with its war with the Persians, which threatened its authority in its southern and eastern parts and how the empire overcame these problems and difficulties faced by this alliance, which was held with the beginning of The sixties of the sixth century AD.

Keywords: Slavs, Avars, Byzantine provinces.

المقدمة

تعد منطقة البلقان البيزنطية من المناطق الحيوية والجاذبة للسكان فهي فضلاً عن موقعها الجغرافي المطل على البحرين الأيوني والإيجي والمتصلين بالبحر الأبيض المتوسط وتمتعها بمنافذ بحرية مهمة سهلت عمليات التجارة والحركة بداخلها بالإضافة إلى الأنهار والسهول الخصبة، كل هذه المقومات شكلت عامل جذب بالنسبة للسلاف الذين بدأوا رحلة النزوح نحو البلقان البيزنطية تحت قيادة الأفار، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المقاطعات البيزنطية في ظل الغارات والغزوات التي تعرضت لها من قبل هؤلاء البرابرة الذين وجدوا فيها مكاناً مناسباً يستوطنوه.

سلطت الدراسة الضوء على الشعوب السلافية التي لم تكن قوة عسكرية منظمة، بل مجموعة قبائل وثنية دفعتها الحاجة للبحث عن مصادر للعيش من موطنها الأصلي في جنوب غرب روسيا حاليا إلى مواطن أكثر دفئً وأنشط اقتصادياً فكانت أولى محاولاتهم التوجه نحو جنوب شرق أوربا (منطقة البلقان) التي كانت خاضعة لسيطرة الامبراطورية البيزنطية، فاتخذت محاولاتهم أشكالاً متعددة: منها الدخول كأفراد ومجموعات صغيرة ثم بعد ذلك عصابات وقطاع طرق، ثم قوات عسكرية مسلحة ومنظمة، وأخذت تغزوا المقاطعات البيزنطية في منطقة البلقان، وذلك بعد منتصف العقد الثاني من القرن السادس الميلادي، غير أن هذه القبائل كانت أهدافها غير منظمة ولم تكن واضحة، بل قائمة على الإغارة والسلب والنهب، ولم تمتلك قيادة عسكرية موحدة، مما جعلها تخضع لسلطة خاقانات الأفار فتم تجنيد الآلاف منهم لغزوا الأراضي البيزنطية مستغلين انشغالها في حربها مع بلاد فارس .

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وقد تكونت الدراسة من : مقدمة ومحورين وخاتمة ضمت اهم النتائج ، متبعة التسلسل الزمني في ترتيب الأحداث، إذ تناول المحور الأول والذي حمل عنوان (تحالف السلاف والافار ضد البيزنطيين وموقف الامبراطورية منه) كيف أخضع الأفار السلاف لسيطرتهم بموجب المعاهدة المبرمة بينهم وبين الامبراطورية البيزنطية عام 562 م وخضوعهم لسيادة الخاقان بصورة مباشرة، محاولات البيزنطيين لتفكيك هذا التحالف و كيفية تصدي الامبراطورية البيزنطية لخطرهم وماهي الأساليب التي اتبعتها للحد من غاراتهم .

في حين اخذ المحور الثاني عنوان (توسع غارات السلاف والافار تجاه مقاطعات البلقان وتصدي بيزنطة لها) والذي تطرقنا به الى توسع خطر السلاف والافار و إجتياحهم أجزاء واسعة من مقاطعاتها وفشل محاولات البيزنطيين لكبح وصد هذه الاقوام عن اراضيها , إلا ان عقد الهدنة مع الفرس وتفرغ الامبراطور موريس لهم غير الاوضاع لصالح البيزنطيين في البلقان الا ان هذا الامر لم يدم طويلا فقد انقلب الجيش ضد الامبراطور موريس في عام 602 م الذي و مثل نقطة تحول في تاريخ الامبراطورية البيزنطية عندما أصبح القائد العسكري فوكاس (*Phocas*) امبراطوراً لبيزنطة.

1 .المحور الأول: تحالف السلاف مع الافار ضد البيزنطيين وموقف الإمبراطورية منه .

من المعروف أنّ القارة الأوربية قد مرت عليها العديد من حركات الهجرة السكانية لمختلف الأقوام والتي شكلت فيما بعد حدودها وخارطتها السكانية إلى جانب السكان الأصليين وفق الأعراق التي انحدرت منها هذه الأقوام، ولا يختلف تاريخ مقاطعات البلقان البيزنطية عن بقية الأراضي الأوربية، فقد كانت حركة الهجرة السلافية إبان القرنين السادس والسابع أشبه بالهجرة الألمانية، فقد كانوا غزاة ومغيرين على جيرانهم، ثم أصبحوا تابعين اسمياً لأقوام أقوى سياسياً منهم، ثم مستوطنين مسيحيين ومجندين في جيش الامبراطورية، وهذا الحال كان بالنسبة للسلاف فقد اتبعت الامبراطورية البيزنطية الاسلوب نفسه بضم قبائل السلاف تحت سلطة امبراطوريـة الأفار الناشئة في النصف الأخير من القرن السادس عن طريق سلسلة من المعاهدات والتحالفات (*J. B. Bury& M.A , London, 1889, 114*).

كان أول تحالف بين الأفار(1) ومختلف قبائل السلاف في عهد الامبراطور جستنيان الاول (527 – 565م *Justinian I*)(2)، وذلك لأن الأفار كانوا منظمين بشكل أفضل عسكرياً واجتماعياً ولديهم حاكم يقودهم، وسرعان ما سيطروا على السلاف وهم مجموعة من القبائل غير متحدة حتى نهاية القرن

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

السادس، كان السلاف لا يزالون يحاولون– دون جدوى– الاستقرار في شبه جزيرة البلقان، في حين أنّ الأفار قد أسسوا مملكتهم في ما يسمى ب(بانونيا(3) وداكيا(4)). قاموا معاً بغزو الامبراطورية البيزنطية في بداية الأمر من أجل ابتزاز الأموال منها، ثم العودة إلى معسكراتهم. عندما شكّل الأفار قيادات هذه القوات المغيرة على الامبراطورية البيزنطية لم يكونوا بأعداد كبيرة بقدر السلاف، فكان عليهم الاعتماد على القبائل السلافية الموجودة في المناطق المراد مداهمتها. (*Ion Grumeza, University Press Of America, 2010 . p63*)

لقد لعب الأفار دورا رئيسيا في استخدام اعداد كبيرة من السلاف في حربهم ضد البيزنطيين ولكن بنفس الوقت فانهم وقفوا ضد السلاف وذلك حسب الموقف الذي يخدم مصالحهم . (*Ion Grumeza, University Press Of America, 2010 ,p64*).

وفي عام 562 م وما بعده تلاشى التهديد السلافي على حدود الدانوب، فلم يكتسح الأراضي أي منهم وأصبحت الأوضاع هادئة . (*Evans S.A.J,New York,2001,p259*)

ربما يعود السبب إلى المعاهدة التي عقدها الامبراطور جستنيان الأول مع خاقان الأفار الذي أرسل سفارته إلى الامبراطور من أجل أن يدفع لهم أموال سنوية مقابل حماية حدود الامبراطورية وإخضاع الشعوب السلافية تحت سيطرته والسيطرة على الهون –*Huns*, والكوتيجور – *Cutigor* و الاوتيجور – *Utigurs* (5)، وفي المقابل وافق الامبراطور على منحهم الجزية والسماح لهم بالسكن في أراضي الامبراطورية فاجتاز الأفار نهر الدانوب واستقروا في(دوبروجا – *Dobroga*) التي اصبحت فيما بعد النواة لتكوين مملكة الأفار (*Dimitri Obolensky, Byzantium and the Slavs, Oxford, 1993,p 28*)

لم يدم هذا السلام مع شعب السلاف الخاضعين لقيادة الأفار بعد وفاة جستنيان الأول عام 565 م، فقد بشرت وفاته ببدء مرحلة جديدة في تاريخ حدود الدانوب والامبراطورية على مدار الستين عاماً التالية، فقد كانت السياسة البيزنطة قائمة على مواجهة تهديد السلاف والأفار طوال هذه المرحلة للمقاطعات البيزنطية

(*Dimitri Obolensky, Byzantium and the Slavs, Oxford, 1993, 28*)

وعندما تولى من بعده الامبراطور جستين الثاني (565 –578م (6) *Justin II*)والذي اتبع معهم سياسة مغايرة لسلفه جستنيان الأول، فقد قطع علاقاته مع شعب الأفار الذين أخضعوا السلاف بموجب المعاهدة المبرمة معهم والتي سبق وإن أشرنا إليها، فقد شكل الأفار– فيما بعد– عائقاً أمام قبائل السلاف

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

واتحادهم مع بعضهم البعض، فقد أصبحوا جزءاً من جيوش الأفار والبعض الآخر أصبح عبيداً وجواري لهم ضمن مملكتهم التي شملت وسط أوربا بعد أن غادرها اللومبارد– *Lombards* (7) إلى إيطاليا في وقت سابق (*Francis Dvornik, Boston,1956,38*).

بعد توسع شعب الأفار على حساب الشعوب الأخرى التي سكنت البلقان آنذاك أصبحت القبائل السلافية الساكنة في(بوهيميا –*Bohemia*) وعلى الألب وفي بولندا مجبرة على الانضمام إلى تجمعات الأفار طوعاً او الخضوع إلى مملكة الإفرنجة أثناء المدة 561 – 562م ، وفي عام 566 – 567م اضطرت القبائل السلافية في كل من(ولاتشيا – *Wallachia* (8)، بانونيا ، نوريكوم – *Noricum*(9) ، مورافيا– *Moravia* ، وسلوفاكيا– *Slovakia*) للاعتراف بسيادة قبائل الأفار عليها (*Francis Dvornik, Boston,1956,38*).

أما المعارضة الوحيدة التي ظهرت إزاء توسع نفوذ الأفار على حساب القبائل السلافية هي من قبل الأنتاي وهي احد قبائل السلاف الكبيرة والتي لم تخضع لاي سلطة وبقيت محتفظة بعلاقاتها مع البيزنطيين ، فلم يخضعوا للأفار وسلطتهم وبقوا تحت السيادة البيزنطية بالرغم من مضايقات خاقان الأفار الذي حاول إخضاعهم له (*Francis Dvornik, Boston,1956,38*).

أن هيمنة الأفار قد امتدت من مركزها في بانونيا، في الشمال الشرقي على سلوفاكيا الحديثة، جنوب مورافيا وجزء من النمسا الحديثة. ومع ذلك ينبغي التأكيد على أنّ الأبحاث الأثرية الأخيرة التي أجريت في جنوب مورافيا فشلت في الكشف عن دليل لوجودهم في هذا البلد في القرنين السادس والسابع الميلادي . بعض المقابر ذات طابع خاص بهم الموجودة في هذا البلد يجب أن تكون مؤرخة في القرن الثامن. وهي موجودة في أحد مقابر دفن لشخصية سلافية ملحوظة، ويبدو أنّها تحتوي على جثث والزجاج السلافي الذي تاجر به الأفار، ويعتقد أنَّ السلاف في بوهيميا وشمال مورافيا دخلوا بحريّةٍ في التحالف مع الأفار (*Francis Dvornik, Boston,1956,38*).

وفي عام 567م ساعدت قبائل الأفار شعوب اللومبارديين الساكنين في شمال غرب البلقان على تدمير مملكة الجبيداي– *Gibdae* (10) والقضاء عليهم، وفيما بعد استولوا على أراضيهم في بانونيا، وبعد عام أي 568م، وعندها اضطر اللومبارديون إلى السعي وراء ثرواتهم في إيطاليا وإنشاء مملكتهم الخاصة. احتفظ الأفار ببعض السيطرة على المناطق التي كانت تحت سيطرة اللومبارديين وبالأخص بانونيا مع مناطق أخرى لمدة قرنين ونصف تقريباً حتى حملات(11) (شارلمان 768– 814 – *Charlemagn*)(12) ضدهم (اينهارد ، دار حسان ، 1989، 86 –88) .

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وتجدر الإشارة إلى أنَّ السلاف في مدة حكم جوستين الثاني كانوا تحت أوامر خاقان الأفار أي حيثما أراد أرسلهم، خاصة بعد أن فرض كامل سلطانه على مناطق سكنهم خلف الدانوب وعلى أجزاء من البلقان البيزنطية وخاصة في شمالها.

بعد الخلاف الذي جرى بين الخاقان والامبراطور جوستين الثاني أصبح من المتوقع قيام الأفار بالهجوم على الأراضي البيزنطية، ففي عام 569م هاجم الأفار بجيش أكثر قوامه من السلافيين إقليم تراقيا، فأرسل إليهم الامبراطور جيشاً بقيادة القيصر تيبيريوس قسطنطين الثاني(574-582م \(*Tiberius II (13)*) خاض معهم معركة في تراقيا وهزمهم بها، لكنهم عادوا مرة ثانية وحاصروا مدينة سيرميوم-*Sirumium* التي تقع على نهر الساف والتي تعتبر مفتاحاً للتحصينات البيزنطية في شمال إيلليريا وهدفهم من السيطرة عليها هو لاستكمال سيطرتهم على كامل أراضي بانونيا، كما أنّ الأفار قد استعانوا بالبولغار والسلاف التابعين لهم لتنفيذ هكذا هجوم ((*Kenneth M. Setton, Academy Of America, Vol.25, 1950508-509*) ، أرسل جوستن الثاني مبعوثان لتفاوض مع الخاقان كي يوقف اعتداءاته، إلّا أنّه زج بهم في السجن، غير أنّ حاكم سيرميوم لم يقف مكتوف الأيدي فقد عرض على الخاقان الصلح والتفاوض معه، واستطاع إقناعه، إلّا أنّ الامبراطور لم يقبل بالمفاوضة معهم واعتبرهم برابرة ليس لهم أهمية، ويجب أن يكون التعامل معهم بأسنة السيوف فقط (ناصر عبد الحميد زيدان عبد الحميد، جمهورية مصر، 2004، 152).

كلف جوستين القيصر تبيريوس بقيادة جيش من أجل محاربة الأفار فحشد جيشاً كبيراً من الشعب وأمر (بونوس – *Ponose*) حاكم سيرميوم بحراسة الممرات المؤدية إلى الدانوب لمنع الأفار من الانضمام إلى أقرانهم في بانونيا، إلّا أنّهم لم يستطيعوا منعهم فقد اجتاز عدد كبير منهم النهر وكانت جيوشهم أكثر قوة من الجيوش البيزنطية، ومن عادات هؤلاء الأفار والسلاف بالأخص أن يسيروا إلى المعركة مطلقين صرخات مخيفة وعالية ويفتعلون ضوضاء كبيرة بالطبول من أجل إخافة الأعداء، أمر تيبريوس جنوده بالرد عليهم أيضاً ولكن كان ذلك دون فائدة، فبأول نزال أثناء المعركة بين الطرفين، هربت قوات تيبريوس من حوله وكاد يقع في الأسر، وهزموا من قبل الأفار مما أدى إلى خسائر جسيمة بين صفوف جيشه وحسمت المعركة بهزيمة تيبيريوس ((*Theophanes the Confessor, Oxford, 1997, 356*.

وعلى إثر هذه الهزيمة في الحرب مع الأفار أخذ جوستين الثاني يفكر بالتفاوض مع الأفار وعقد معهم معاهدة سلام في عام 570 م نتج عنها توقف غزوات الأفار والسلاف عن مهاجمة أراضي البلقان

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

البيزنطية. بعد هذا العام ولعدم قدرة الامبراطور جوستين الثاني على الحد من غزواتهم قرر التفاوض معهم، فعقد معهم تحالفاً ثانياً، وذلك في عام 573 م مقابل تعهده بدفع جزية سنوية تقدر ب (800000 نومسماتا من الذهب) مقابل ترك مدينة سيرميوم تابعة للامبراطورية البيزنطة ورفع أيديهم عنها، وقد قبل الأفار هذه الشروط (*Kenneth M. Setton, Academy Of America, Vol. 25, 1950, 509*).

ومما سبق ذكره نستنتج أن الامبراطور جوستين الثاني كان غير حكيم في تعامله مع شعب الأفار، وكان بإمكانه الاستفادة منهم وذلك من عدة جوانب، من جانب أن لديهم السيطرة على العديد من الشعوب الساكنة خلف الدانوب والمحيطة بالامبراطورية وبالأخص أعداد كبيرة من السلاف، أضف إليهم الكوتيجور والاوتيجور والهون، فقد كان بمقدوره شراءهم بالأموال بدل الحروب التي أنهكت ميزانيته وأبادت جيوشه وسكان مناطقه ولم تعد إليه بنفع معهم.

لقد استفاد الامبراطور جوستين الثاني حقاً من قوات الأفار التي انظمت إلى جيوشه في حربه مع الفرس في المقاطعات الشرقية وفي البلقان ضد السلاف، وما بين عامي 577 – 578م قام (100000 مائة ألف) من السلافيين بالهجوم على تراقيا واليونان واستولوا على ما فيها مما جعل القيصر تيبيريوس الذي كان مشغولاً في حربه مع الفرس يستفيد من تحالفه مع الأفار فاستعان بقواتهم لدحر السلاف، وبالفعل تمكنوا من إبعادهم عن الأراضي البيزنطية *Menander The Guardsman, R. C. Blockly, 1985, 193*)

اقنع الامبراطور و القيصر تيبيريوس خاقان الأفار بشن حرب على السلاف كي لا يحاولوا شن حرب أو القيام بأي هجوم على الأراضي البيزنطية ويبقون منشغلين بالدفاع عن أرضهم وممتلكاتهم، ثم أرسل القيصر سفارة جديدة إليه، ووافق الخاقان على طلبه. وتم إرسال(جون – *jon*) الذي كان في ذلك الوقت حاكماً للجزر ومسؤولاً عن مدن إليريكوم لمساعدته، فقد سافر إلى أرض بانونيا ونقل (بايان – *Baian*) خاقان الأفار نفسه وقوات الأفار إلى الأراضي الرومانية، ونقل العديد من البرابرة في السفن الرومانية، ويقال أنه تم جلب حوالي ستين ألف فارس مدرع إلى الأراضي الرومانية، ومن هناك عبر بايان إلى إليريكوم، ووصل إلى سيكثيا واستعد لإعادة عبور نهر الدانوب في ما يسمى بالسفن "ذات الجناحين" وعندما وصل إلى الضفة الثانية لنهر الدانوب أطلق جنوده على الفور السهام المشتعلة بالنيران نحو قرى السلاف ودمر حقولهم وحمل كل شيء ثمين في طريقه من منازلهم، إذ لم يجرؤ أي من السلاف هناك على مواجهته بل لجأوا إلى أشجار الغابة الكثيفة، وتمكنوا من تحرير بعض السجناء

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الرومان عند السلاف (*Robert Main, Trinity, 2019, 75*). يبدوا لنا أنّ البيزنطيين هذه المرة عادوا إلى مواجهة السلاف والأفار بأسلوب جديد يتمثل بمقاتلة بعضهم البعض للتخلص من خطرهم والاستفادة من الجهة التي تنتصر منهم لحماية حدودها في المنطقة التي يستقرون فيها وهو أسلوب يمكن أن ينجح، لأن عمليات هؤلاء قائمة للحصول على أكبر كميات من الغنائم سواء بشكل أموال فيها أو ما تمكنت أيديهم من الاستحواذ عليه بقوة.

لم يكن هجوم الأفار على السلاف فقط من أجل تلبية السفارة التي أرسلها القيصر ورغبة بايان في رد الجميل للرومان مقابل الكرم الكبير الذي أظهره له القيصر، ولكن أيضاً، لأنّ بايان كان معادياً لهم من منطلق شخصي، لأنَّ زعيم الأفار بايان في عام 579 م قد أرسل إلى(دوريتاس – *Daurentius*) أحد زعماء السلاف ورؤساء شعبه يأمرهم بالامتثال لأوامر الأفار وأن يصبح من بين تابعيهم فأجابه دوريتاس ورفاقه الرؤساء *Menander The Guardsman, R. C. Blockly, 1985, 194*)

"أي إنسان ولد حر تدفئه أشعة الشمس التي نستمد منها قوتنا ؟ البعض الآخر لا يحتل أرضنا، نحن نغزو أراضيهم، وهكذا سيكون الأمر دائماً بالنسبة لنا، ما دامت هناك حروب وأسلحة " (*Menander The Guardsman, R. C. Blockly, 1985, 194*)

2 .المبحث الثاني : توسع غارات السلاف والافار تجاه مقاطعات البلقان وتصدي بيزنطة لها .

تفاخر السلاف بأنفسهم وبقوتهم بعدما جاءتهم سفارة خاقان الافار مما أثار غضب بايان ورد عليهم بأسلوب مماثل بعد ذلك جاءت الإساءات والشتائم فيما بينهم ولم يكن السلاف قادرين على كبح جماح غضبهم لدرجة أنهم قتلوا المبعوثين الذين جاءوا إليهم من الأفار، وتلقى بايان تقريراً عن هذه الحادثة ونتيجة لذلك، ظل يرعى شكواه لمدة طويلة وأخفى كراهيته، وغاضباً لأنهم لم يصبحوا رعاياه، ناهيك عن التفكير في كسب تأييد القيصر وأنه سيجد الأرض مليئة بالذهب، لأن الإمبراطورية الرومانية قد تعرضت للنهب من قبل السلاف، الذين لم يداهم أي شعب آخر أرضهم على الإطلاق، ومن هذا الوقت أصبح السلاف من رعايا الأفار وكل الغارات التي يقومون بها تكون مشتركة بينهم *Menander The Guardsman, R. C. Blockly, 1985, 195*)

إلّا أنّ الأفار لم يرعوا التحالف مع البيزنطيين وانقلبوا عليهم، وفرضوا حصاراً جديداً على مدينة سيرميوم، وهي المنطقة الهامة والوحيدة الباقية للرومان فى بانونيا. والتى كان يعتبرها بايان جزءاً من

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

فتوحاته، ونظراً لانشغال تيبريوس بحربه مع الفرس فاستغل غياب جيوش البيزنطيين في الجبهات الشرقية، ومن أجل تبرير عمله أرسل إلى القسطنطينية سفيره(تاراجيتيوس–*Targitius*) ليطالب بالجزية السنوية والتي كانت (800000 ثمانمائة ألف) قطعة من الذهب (*Main, 2019: 75–76*)

وبعد عام 580م أو 581م بقليل قطع بايان السلام مع الامبراطورية وتحرك بقواته عازماً على بذل جهوده الأخيرة للاستيلاء على مدينة سيريميوم وذهب معسكراً عند ملتقى نهر الساف ونهر الدانوب بالقرب من(سنجيدون–*Singidon*) بهدف إقامة جسر على نهر الساف متحججاً ببنائه من أجل منع السلافيين من الدخول إلى الأراضي البيزنطية، إلّا أنّ غايته كانت لمنع الإمدادات العسكرية والطعام من الوصول إلى سيرميوم (الآسيوي، 2000: 114/3).

وأثناء الحصار غزت أقوام السلاف تراقيا ومقدونيا واليونان ويصف المؤرخ المعاصر يوحنا الآسيوى أحداث هذا الغزو قائلاً:

"اجتاح شعب الصقالبة (14)(السلاف) الملعون في السنة الثالثة من عهد الإمبراطور طيباريوس (تيبيريوس)(81م) أراضي اليونان وتسالونيك وتراقيا. واحتلوا مدناً وحصوناً كثيرة وخربوا هذه الأراضي وأحرقوها وسبوها وسيطروا عليها بقوة واستقروا فيها وكأنها أراضيهم لمدة أربع سنوات، وكان الملك طيباريوس (ويقصد به تيبيريوس) لا يزال مشغولاً في الحرب مع الفرس، وأرسل الجيوش كلها إلى الجبهة الشرقية، ولذلك انتشر الصقالبة في هذه البلاد واستقروا فيها وتوسعوا حتى قوى الله شوكتهم فخربوا القسطنطينية وأشعلوا فيها الحرائق وهدموا سورها الخارجي، واستولوا على قطعان الماشية الملكية، وكانت آلافاً كثيرة بالإضافة إلى ما سبوه وغير ذلك. واستمر وجودهم داخل الأراضي الرومانية 581–584م، واستوطنوها بلا اهتمام أو خوف، كما سبوا وقتلوا سكانها وأحرقوها وغنموا منها الذهب والفضة وقطعان الخيول والسلاح الوفير، وقد حذقوا في فنون القتال أكثر من الرومان، هؤلاء البرابرة الذين لم يكونوا يتجاسرون على الخروج من مكامن الأشجار، ولم يعرفوا من أنواع السلاح سوى نوعين أو ثلاثة من الحراب الصغيرة التي تسمى مزاريق" (الآسيوي، 2000: 114/3).

ولما كان هدف الأفار والسلاف على حد سواء هو السلب والنهب والحصول على الغنائم، ولم يكن لديهم شيء اسمه حضارة أو مراكز مدنية أو أماكن مقدسة إذ كان كل ذلك مشروعاً للتدمير فإن العهود والاتفاقات لا تعني لهم شيء، ذلك أنّ حياتهم المعيشية قائمة على هذه الأمور والالتزام بها على قدر مصالحهم.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لقد سمح هذا الهجوم على(هيلاس-*Hellas*)(15) لعدد لا يحصى من الجماعات السلافية شمال الدانوب والذين كانوا ينتظرون هذه الفرصة منذ مدة طويلة من أجل الاستقرار في مقاطعات البلقان الغنية والخصبة، وتهجير سكانها الأصليين عبر البحر وحسب ما ذكرته المصادر الأثرية التي تعود إلى هذه المرحلة الزمنية فإن أول المستوطنات السلافية التي نتجت عن هذه الغارات كانت في اليونان وتراقيا واليريكوم (*Main,2019: 76*) .

أن هجمات السلاف والأفار التي بدأت في 578-582 م، وقد ثبتت قدم للوجود السلافي في البلقان، كما أثبتت فشل سياسة خلفاء جستنيان الأول بالتعامل معهم في كثير من الأحيان، وربما يعود ذلك لأحد أكبر المشكلات التي واجهت الأباطرة، وهي تجدد الحرب مع بلاد فارس وإنهاك ميزانياتها وتحويل أعداد كبيرة من جيوشها إلى الحرب أعطى الفرصة الجيدة لهذه القبائل للاستحواذ على بعض المناطق في اليونان وتراقيا واليريكوم (*Bury, 1889: 116*)

وفي بدايات عام 582م أي قبل وفاة الامبراطور تيبريوس وصلت سفارة من الأفار أخرى تطالب بدفع الجزية المتأخرة من ثلاث سنوات وأنهم سينسحبون من حصار مدينة تسالونيك، وبالفعل وافق الامبراطور على ذلك وأرسل حاجبه محملاً بالأموال إلّا أن السفارة لم تصل بسبب غرق أحد السفن وموت الحاجب وفشلت هذه المحاولة لإنقاذ المدينة من يد الأفار، إلّا أنّ الأفار لم يكتفوا بذلك وبنوا جسراً آخر واحتلوا المدينة بعد أن عانت من ويلات الحصار الذي استمر لعامين (الاسيوي، 2000: 120-119/3).

وعندما تولى الامبراطور (موريس582- 602 *Maurice*)(16) في آب 582 م تزايد خطر خاقان الأفار بايان وجيوشه السلافية إذ أثبت أنّه حليف غادر فقد طالب الامبراطور موريس بزيادة القطع الذهبية التي كان يستلمها من سلفه والتي تقدر بـ(800000 ثمان مائة ألف) إلى الضعف بمقدار(20000 عشرين ألف) أخرى مع حيوان الفيل كهدية، فوافق الامبراطور على هذا من أجل سلامة المدن من هجومهم، وعندما أرسلها إلى الخاقان رفضها وأعاد الأموال إلى الامبراطور مطالباً بزيادة ال(100000مئة ألف) بـ (20000 عشرين ألف) أخرى حينها رفض الامبراطور قبول ذلك، فجهز الخاقان جيشه واحتل سنجديوم-*Singidium* (17) واستولى على العديد من المدن الأخرى التابعة إلى اليريكوم وهدد بتدمير الجدران الطويلة المحيطة بالعاصمة القسطنطينية، فقد أصبحت غارات الأفار والسلاف بين 578 و 586م بالتناوب وبشكل متكرر وانتشرت الفوضى في تراقيا واليونان، وتسببت

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بتهجير أهلها ناهيك عن القتلى والأسرى والخراب الذي ينتج عن هذه الغارات (*Theophanes the Confessor, Oxford, 1997, 375*)

و مع وجود مفتاح شمال البلقان في أيدي الأفار، اضطرت الإمبراطورية للسنوات العشر التالية إلى الدفاع عبثاً، إذ حاول الإمبراطور موريس شراء الأفار بالموافقة على زيادة دعمهم السنوي عام 583-٥٨٤ م، إلّا أنّ الخاقان لم يحترم العقد المبرم معه من قبل الامبراطور، إذ قام بتسليح قبائل السلاف وإرسالهم ضد تراقيا ومقدونيا واليونان والبيلوبونيز أيضاً، وتسببوا بالكثير من الدمار الذي طال حتى الجدران الطويلة، حينها قام الامبراطور بإرسال حرس القصر والتجنيد من السكان من أجل حماية الأسوار الطويلة المحيطة بالعاصمة وعين (كومنتيلوس – *Komentiolos*) (18)كجنرال وجهز قواته وأرسله ضد السكلافيني فشن هجوماً ضدهم ودمر عدداً كبيراً منهم، ودفعهم إلى الخلف، وعندما وصل إلى أدريا نوبل صادف (أرداغاست – *Ardagastos*) أحد الزعماء والقادة السلافيين الذي كان يقود مجموعة من السلاف مع أسرى الرومان فاصطدم معهم بمعركة وانتصر عليهم وأنقذ الأسرى (*Theophanes the Confessor, Oxford,1997, 376*)

إلّا أنّ كومنتيلوس وانتصاراته لم يثني من عزم السلافيين بتحقيق غايتهم بنهب مدن البلقان ومنعهم من العودة مرة أخرى، فقد كانت الامبراطورية تمر بحالة من الضعف والاستنزاف لقوتها ومواردها نتيجة لحروبها المستمرة مع الفرس ومواصلة السلاف تهديدهم للعاصمة للأراضي البيزنطية، ففي عام 586م حاصروا تسالونيك وفي العام التالي قاموا بغزو مدينة إبيروس – *Epirus* الساحلية في اليونان وثيسالي و أتيكا– *Attica* واحتلوا أجزاءً من البلوبونيز، وتكرر هجومهم هذا أيضاً في عام 589 م مما جعل الموانئ التجارية عرضة للنهب المستمر وانخفاض في نشاطها التجاري لانعدام الأمن فيها (*Dimitri Obolensky, The Byzantine Commonwealth, New York, 1971, 52*)

لقد أوضحت الأحداث للسنوات العشر الماضية قبل هذا العام للبيزنطيين أن سياسة الدفاع العسكري على حدودهم الشمالية التي تعززت بجهود شراء الشعوب البربرية وتحريضهم ضد بعضهم البعض لم تعد تجدي نفعاً، ولم يتمكنوا من الاحتفاظ بنهر الدانوب فقط، إلّا بمحاولة حازمة للقضاء على قبائل الأفار في منازلهم يمكنها أن تضع حداً لغزواتهم الدورية لمنطقة البلقان، والتي نتج عنها تقليص السكان البيزنطيين العزل (*Dimitri Obolensky, The Byzantine Commonwealth, New York, 1971, 52*)

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لقد كان للحروب المستمرة للإمبراطورية من عهد جستنيان الأول إلى عهد موريس وانشغال الجزء الأكبر من قواتها في الحروب خاصة في إيطاليا ضد اللومبارد وضد بلاد فارس، فلم تكن هناك سياسة نشطة بشأن نهر الدانوب، ومع ذلك في أوائل 590م تغير الوضع إذ عزز البيزنطيون سيطرتهم على وادي(بو – *po*)(19)، والأهم من ذلك مكّن الانتصار في الحرب الفارسية عام 591 م ومهادنة الفرس الإمبراطور موريس من نقل قواته المخضرمة من الجبهة الشرقية إلى البلقان، وتكليف (بريسكوس – *Priskos*)(20)، أقدر قائد له بالمهمة المزدوجة المتمثلة في الاحتفاظ بنهر الدانوب السفلي وتأكيد سلطة الإمبراطور على ضفته الشمالية. وبنفس العام جهز قوة عسكرية بقيادة بريسكوس الذي قاد جيشه باتجاه جنوب نهر الدانوب وتمكن من دفع السلاف إلى الوراء وإبعادهم إلى حدود النهر بعد أن حقق عليهم بعض الانتصارات على الرغم من أنه لم يكن ناجحاً في أي من المهمتين، إلّا أن الأمور بدأت تتغير عندما قاد بريسكوس في عام 593م حملة عسكرية ضد خاقان الأفار الذي حشد الآف القوات من الأقوام التي كانت خاضعة له ومن بينهم السلاف إذ حشد بريسكوس قواته في سينجيديوم بعد أن خرق الخاقان معاهدة السلام مع الامبراطور وباغتوا جيوش الخاقان وارتكبوا مجزرة فضيعة بحقهم وأخذوا العديد منهم أسرى إلى الامبراطور ومن بينهم 800 من السلافيين، مما جعل الخاقان يسارع في طلب الصلح مع الامبراطور فوافق الامبراطور على ذلك، وعند عودة الجيوش الرومانية من الحرب هلك أكثرهم بسبب العواصف الثلجية في الأراضي السلافية تاركين مدينة سنجيديوم بيد السلاف والخاقان، كما أعادوا الأسرى إلى الخاقان، ولم يتمكنوا من استعادتها إلّا في عام 596 م .

(*Theophanes the Confessor, Oxford, 1997, 15-16; Theophylact Simocatta, Oxford, 1997, 407-408*)

لقد أكد عهد موريس فعلاً السيادة الحقيقية للرومان على نهر الدانوب وأراضي البلقان فما بين عام 598- 600م عقدت معاهدة بين بيزنطة والأفار حددت حدود الإمبراطورية على نهر الدانوب، كما تعهد موريس بزيادة الجزية السنوية التي دفعها هو واثنان من أسلافه بشكل دوري للخاقان بشرط السماح للجيوش البيزنطية عبور النهر من أجل محاربة السلاف (*Theophylact Simocatta,* 1997 *248*).

لكن هذا السلام لم يدم عندما اجتاز بريسكوس النهر في عام 601م من أجل شن حرب على أراضي الأفار والسلاف واستطاع أن يهزم بايان عدة مرات مما جعل الخاقان يتراجع شمالاً إلى وادي

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

تيسا، حيث هزم بريسكوس قواته، أثبتت انتصارات موريس، التي بدا أنها وعدت البلقان ببعض الراحة من هجمات الأفار والسلاف ولكن نجاحات موريس سرعان ما تلاشت (*Obolensky, 1971: 53*),

إلّا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً ففي عام ٦٠٢ أمر الإمبراطور شقيقه بيتر بأن القوات ستقضي فصل الشتاء على نهر الدانوب في أحد الأقاليم السلافية مما أثار سخط الجنود بسبب قساوة الظروف وبرودة الجو هناك مما جعلهم يعلنون التمرد بقيادة (فوكاس *Phocas* 602–610)(21) وسار الجيش المتمرد إلى القسطنطينية، واستولى على المدينة وأعلن قائدهم فوكاس إمبراطوراً، إذ يمثل عهد فوكاس الكارثي نقطة تحول في تاريخ الحدود الشمالية للإمبراطورية خاصة الحدود مع نهر الدانوب إذ تمثل مدة حكمه مرحلة تدهور بالنسبة لسلطة الامبراطورية على البلقان إذ سنحت الفرصة للسلاف من جديد للاستيطان في مقاطعاتها ومحو الهوية الرومانية للبلقان وصبغها بالطابع السلافي. (*Obolensky, 1997: 33–32*).

الخاتمة

- كانت منطقة البلقان البيزنطية محط أنظار السلاف والأفار، كونها تتمتع بمزايا عديدة منها موقعها الجغرافي المطل على البحار الداخلية والصالحة للتجارة والأنهار الملاحية الكبيرة وخصوبة التربة واعتدال مناخها كل ذلك دفع كل من السلاف والأفار للتحالف مع بعضهم البعض لمهاجمتها في بعض الأحيان وفي الغالب كان السلاف خاضعين لسلطة وأوامر خاقان الأفار.
- إنّ افتقار السلاف للقيادة المركزية لقواتهم وعدم وجود تخطيط منظم لعملياتهم دفعهم في بعض الأحيان للتحالف مع الأفار الذين كانوا بحاجة ماسة لأعداد كبيرة من المقاتلين لقلة عددهم، فكان لهذا التلاقي في الحاجات سبباً مباشراً للتحالف بينهم.
- النقص في الإمكانيات العسكرية للإمبراطورية البيزنطية بسبب انشغالها بالحروب على أكثر من جهة في الشرق مع بلاد فارس وفي إيطاليا مع اللومبارديين لذلك لم تصمد خطوطها الدفاعية أمام القبائل البربرية والعصابات غير النظامية لذلك اضطرت فيما بعد إلى مهادنتهم.
- تعددت الطرق التي تعامل بها البيزنطيون مع السلاف والأفار من الصدام المباشر إلى عقد المعاهدات والصلح والتهدئة إلى دفع الأموال واستمالة طرف ضد آخر، بالرغم من أن هذه

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الأساليب تحقق نجاحاً ولكن ليس طويلاً وكل ذلك مبني على الفرص التي تسنح لأي من الأطراف.

- لم تكن قبائل السلاف والأفار قواتاً عسكرية كفء لقوات الإمبراطورية البيزنطية النظامية وإن ضعفت في بعض الأوقات، لكن لا يمكن للبداوة والنظام القبلي والعصابات غير النظامية أن تصمد أمام الحضارة والتمدن والنظام فكان أن حقق الأباطرة البيزنطيين الانتصارات وتحرير معظم أراضي البلقان من سيطرة السلاف والأفار .

المصادر

[1] Alexander P. Kazhdan,(1991) Dictionary Of Byzantium Vol 3 ,New York , Oxford.

[2] Dimitri Obolensky ،(1993) ،Byzantium and the Slavs ،Oxford.

[3] Dimitri Obolensky ،(1971) The Byzantine Commonwealth Eastern Europe ،*1453-500* ،Praeger ،New York - Washington.

[4] Francis Dvornik ،(1956) The Slavs Their Early History and Civilization ، Boston.

[5] Fritz Machaček,(1908) Die Alpen , Verlag von Quelle & Meyer in Leipzig .

[6] Ion Grumeza ،(2010) The Roots Of Balkanization Eastern Europe C.E. 500–1500 ،University Press Of America.

[7] J. A. S. Evans ،(2001)The Age Of Justinian The Circumstances Of Imperial Power ،This Edition Published In The Taylor & Francis E-Library ،New York.

[8] J. B. Bury ،M.A. (1889) ،A history of the later roman empire arcadius to irene 395 - 800 AD ،london.

[9] Kenneth M. Setton ،(1950)The Bulgars In The Balkans And The Occupation Of Corinth In The Seventh Century ،Vol. 25 ،Medieval Academy Of America.

[10] Menander The Guardsman ،(1985)The History Of Menander The Guardsman ،Introductory Essay ،Text ،Translation ،And Historiographical Notes By R. C. Blockley.

[11] Robert Main ،(2019) ،After Justinian Foreign Policy in the Byzantine Empire during the Reigns of Justin II and Tiberius II Constantine (565-582) ،Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy in Ancient History St. Catherine's College ،University of Oxford ، Trinity.

[12] Suwanu Europe, Socio-Economic Characterization Of The Region, Location (https://mapchart.net/europe-detailed.html) p 3 .

[13] Theophylact Simocatta ،(1997)The History of Theophylact Simocatta ، An English Translation with Introduction and Notes ،Michael and Mary Whitby ،Oxford.

[14] Theophanes the Confessor ،(1997) The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History ،AD 284-813 ،Trans by Cyril Mango and Roger Scott ،Oxford.

[15] Neil Christie,(1989)The Lombards ,Blackwell Publishers Inc,Massachusetts,USA.

[16] اينهارد ,(1989) سيرة شارلمان , ت . عادل زيتون , دار حسان , دمشق .

[17] إخلاص أمانة ماهي عيسى، (2013)الصقالبة _ السلاف أصولهم وحياتهم العامة منذ ظهورهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد .

[18] محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي ,(2003) العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان (768 – 814م) , كلية الاداب , جامعة بغداد .

[19] هـ. سانت ل.ب.موس ,(1998) ميلاد العصور الوسطى 395–814م, ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد والسيد الباز العريني , الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[20] هـ. و . كارلس – ديفز ,(1929) شارلمان , ت . السيد الباز العريني , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة .

[21] ناصر عبد الحميد زيدان عبد الحميد ، (2004)الدولة البيزنطية في عهد الامبراطورين جستين الثاني وتيبيريوس 565 – 582 م ، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب، جامعة عين الشمس، جمهورية مصر.

[22] يوحنا الاسيوي، (2000) تاريخ الكنيسة الكتاب الثالث، ج 3، ت. صلاح عبد العزيز محجوب ادريس و محمد خليفة حسن، المشروع القومي للترجمة، المجلس الاعلى للثقافة.